المحاضرة الثانية: تابع التاريخ السياسي للجزائر في العهد الفينيقي و الروماني

الأصل بالنسبة لسكان شمال أفريقيا

النظريات المتمايزة حول أصل البربر:

هناك الكثير من النظريات التي بحثت في أصول البربر/ الأمازيغ وهي:

- **الأصل السامي:** هذه النظريات تذهب إلى أن الأمازيغ من أصول مشرقية عربية، هاجروا بسبب الجفاف، وتغير المناخ، وكثرة الحروب إلى شمال إفريقيا، في هذا الصدد يرى ابن خلدون: أنّ البربر من نسل " مازيغ بن كنعان"، بمعنى من أصول بربرية كنعانية مشرقية، والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم، إنّهم من ولد كنعان بن حام بن نوح. [1]وهو نفس ما ذهب إليه الدكتور عثمان سعدي♦ في كتابه: البربر الأمازيغ: عرب عاربة في الصفحة: 13:" يكثر الحديث في هذه الأيام عن البربر: عن أصلهم، عن لغتهم، عن تاريخهم مع العرب ومع العربية ومع الإسلام. وأنا هنا أستعرض تاريخ المسألة البربرية، عبر مراحل فرنسية لتعزيز رأي الوارد في الكتاب، والمتمثل في أن البربر من العرب العاربة، استقروا بالمغرب ضمن هجرات سابقة للفتح الإسلامي، على أساس أنهم ساميون، أي من العرب القدامى؛ بسبب بطلان التسمية السامية لتاريخنا، بغجماع المؤرخين. هذه التسمية التي أطلقها المستشرق اليهودي النمساوي « شلوتزر (Shlotzer)» في الربع الاخير من القرن الثامن عشر. ويستبدل المؤرخون مصطلح الساميين بالأقوام العربية القديمة، ومصطلح اللغة السامية بالعربية القديمة أو العروبية"[2].

كما ذكر ابن خلدون انه قد قال القديس القرطاجي الفينيقي "أوغسطين" قولة مأثورة: " إذا سألتم فلاحينا عن أصلهم، سيجيبون: نحن كنعانيون، " وهي ان الأمازيغ أبناء كنعان ابن يقشان ابن ابراهيم عليه السلام".

ويؤكد ذلك في ص 15 :" ويؤكد المؤرخون العلماء الأوربيون، من خلال استقراءاتهم لعلم الآثار والنقوش والكتابات القديمة

---

[1] خالد بوشمة وآخرون، **التربية المدنية: السنة الثالثة من التعليم المتوسط**. الجزائر: دار الهلال للنشر، 2018، ص 73.

♦ هو الدكتور الأمازيغي البربري من النمامشة، أكبر قبيلة بربرية.

[2] عثمان سعدي، **البربر الأمازيغ: عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ**. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2018، ص 13.

ويؤكد المؤرخون العلماء الآوروبيون، من خلال استقراءاتهم لعلم الآثار والنقوش والكتابات القديمة المكتشفة، أن استيطان الفينيقيين –منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد (أي منذ 3500 سنة)– هو الذي مهّد لسهولة قبول البربر للغة العربية والدين الإسلامي في القرن السابع الميلادي. ويرون أن اللغة البونيقية استمرت قائمة بالمغرب العربي، كلغة ثقافة وحضارة ودواوين، حتى بعد تدمير قرطاج، وخلال الاستعمار، وإلى أن دخل العرب المسلمون؛ فحدث الوصل بين البونيقية التي هي عربية قديمة، وبين العربية التي هي لغة حديثة طورها القرآن الكريم والإسلام.

- **الأصل الحامي:** هناك من الباحثين من يقول بالأصل الحامي للبربر. بمعنى أن البربر من أبناء حام بن نوح، هاجروا الجزيرة العربية، فاستقروا في السودان وبلدان شمال أفريقيا، وتنتمي لغتهم البربرية إلى الفصيلة الحامية التي تلتقي فيها مع بعض اللغات الأفريقية، مثل: الكوشيتية، والمصرية. ويهدف هذا التصور إلى عزل البربر عن العرب. وقد نشأ هذا التصور في ألمانيا سنة 1912م مع صاحبه س.ماينهوف. وقد تبنى أحمد بوكوس هذا التصور، حيث اعتبر البربرية " لغة مستقلة من حيث العلاقة الوراثية التاريخية بالنسبة للعربية الفصحى، إذ تنتمي الأمازيغية إلى ما يسمى بفصيلة اللغات الحامية، بينما تدخل العربية ضمن فصيلة اللغات السامية، وإن كانت هاتان الفصيلتان تشتركان على مستوى أعلى في إطار فصيلة الحامية–السامية، وفي الفصيلة الإفريقية – الآسيوية"[1].

بيد أن هذه النظرية " لم تعمر طويلا؛ لعدم وجود وحدة لغوية داخلية حقيقية بين لغات المجموعات الثلاث **(البربرية، والمصرية، والكوشيتية)** لذا، أخرجت منها المصرية، وألحقت بالسامية في وقت مبكر، وكذلك البربرية التي وصفها عالم البربريات روسلر بأنها سامية جدا[2].

وبما أن علم اللغة المقارن أثبت وجود أواصر لغوية بين الحامية وما يسمى بالسامية، وبدل أن يدمجا في مجموعة واحدة، فقد وقع الجمع بينهما مع المحافظة على فكرة الفصل، واستعملت لهما هذه التسمية (الحامية – السامية) أو (السامية–الحامية)[3].

والدليل كذلك على التصور الحامي ما ذهب إليه محمد الشطيبي الأندلسي، في كتابه التاريخي **(الجمان في مختصر أخبار الزمان)**، بأن أصول البربر حامية، تعود إلى حام بن نوح الذي هرب مع بنيه إلى أفريقيا الشمالية، بعد هزيمته أمام بني سام. وأكثر من هذا، يقول الشطيبي " ذكر أهل علم السير أن بني حام تنازعوا مع بني سام، فانهزم بنو حام، وخرج إلى المغرب هو وبنوه، وتناسلوا فيه، فاتصل بنوه من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى مجاوره السودان، وكان بسواحل المغرب

---

[1] أحمد بوكوس، **الأمازيغية والسياسة اللغوية والثقافية بالمغرب**. الرباط: مركز طارق بن زياد، 2003، ص 15.

[2] جميل حمداوي، «أصول الإنسان الأمازيغي»، متحصل عليه من: https://www.alukah.net/culture/0/74461/#_ftn10 بتاريخ: 2022/09/22.

[3] محمد المختار العرباوي، **البربر مشارقة في المغرب.** مراكش: المطبعة والوراقة الدوديات، 2012، ص ص 42-43.

الأقصى الإفرنج والأفارقة، فكانت ذرية حام في المداشر والخيام والأعاجم الأول في البلدان، وبقيت أكثر أولاد حام في بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داود عليه السلام، وهو أول نبي أتاه الله الملك وعلمه مما يشاء.

وكان فيهم ملوك الخلافة، كل ملك يسمونه جالوت، كما سميت الفرس ملوكهم الأكاسرة والروم القياصرة والعرب الأقيال وحمير. فلما قتل داود جالوت، ملك البربر، أمر بخروجهم من بلاد كنعان بفلسطين، وأمر بجلائهم إلى جزيرة المغرب، فساروا نحو إفريقية ونحو الزاب حتى ضاقت بهم تلك البلاد، وامتلأت بهم الجبال والكهوف والرمال، وصاروا يتبعون القطر بالإبل وبيوت الشعر، ولم يقدر الإفرنج على ردهم ولا دفعهم، فانحازت للمدن، وبقيت البربر فيما عدا المدن. وهم مع ذلك على أذكار مختلفة، يعبد كل واحد منهم ما شاء من الأديان الفاسدة، فمنهم من تنصر، ومنهم من تهود، ومنهم من تمجس إلى زمن الإسلام، ومعهم رؤساء وملوك وكهان، ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم"[1].

وهناك من أرجع نسلهم إلى القبط المصريين، وهم من نسل حام بن نوح. "وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر، صاحب التمهيد، في كتاب الأنساب: « البربر من القبط، والقبط هو ولد قبط بن حام بن نوح عليه السلام، أول ما نزل قبط بن حام مصر وأورث بها بنيه، وهم القبط التي كانت ملوكهم الفراعنة ومنهم تَنَسَّلَت البربر». وأما تسميتهم البربر، فذلك لما صار ملك مصر لقيس عيلان، كان له ولد يسمى بر، فخرج مغاضبا لأبيه وإخوته إلى ناحية المغرب، فقال الناس بربر، أي: توحش في البراري، فسموا بربرا. وقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم في بعض أحاديثه فقال: [إن لي أنصارا، فأنصاري الذين أووا ونصروا، وأنصار ذريتي البربر الذين يأوون ذريتي ويكرمونهم]. وقد كان من جدودهم من يوصيهم بإتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كالنعمان الحميري، فإنه سكن بالمغرب أربعة عشر ولدا من بنيه، وقال: سيبعث نبي كريم اسمه محمد، فآمنوا به واتبعوه."[2].

وهكذا، يتبين لنا بأن التصور الحامي ليس تصورا علميا موضوعيا بشكل مطلق؛ نظرا لتداخل البنيات اللغوية السامية مع البنيات اللغوية الحامية داخل النسق اللساني البربري[3].

- **الأصل الهندي الأوروبي:** هناك مجموعة من الباحثين من يقول بأن الأمازيغين قد أتوا من الهند، فاستقروا في أوروبا، وهم من **أولاد يافت**، والدليل على أوروبيتهم شعرهم الأشقر. وفي هذا، يقول عثمان الكعاك: " يذهب البعض من العلماء إلى أن البربر من أصل هندي أوروبي.أي: من الأصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام، خرجوا في عصور متقادمة من الهند، ومروا بفارس ثم بالقوقاز، واجتازوا شمال أوروبا من فينلاندا إلى إسكندينافيا، ثم بريطانيا الفرنسية،

---

[1] محمد الشطيبي، **الأمازيغ (البربر) عبر التاريخ**. (تحقيق: عبد الحفيظ الطيبي)، الرباط: رباط نيت، 2014، ص 19.
[2] المرجع نفسه، ص 20.
[3] جميل حمداوي، مرجع سابق.

ثم إسپانيا، ويستدلون على ذلك بالمعالم الميغالينية أو معالم الحجارة الكبرى من المصاطب(الدولمين)، والمسلات(المنهيد)، والمستديرات (الخروملیکس) التي بثوها على طول هذه الطريق، وهي توجد بشمال أفريقيا، وتنتهي بالمفيضة. كما يستدلون بأسماء قبائل الكيماريين بفينلاندا والسويد وبني عمارة في المغرب وخميس بتونس، فالأسماء متشابهة جدا؛ أو بالحرف الروني المنقوش على المعالم الميغالينية، فإنه يشبه الخط اللوبي المنقوش على الصخور بشمال أفريقيا، ولبعض الخصائص البشرية، كبياض القوقازي، وزعرة الشعر المتصف بها الشماليون[1] ".

وتذهب الدراسات التاريخية اليونانية والرومانية القديمة إلى أن أصل البربر أوروبي، أو أنهم اختلطوا بالأوروبيين، " فأبو التاريخ هيرودوت (Herodotes) لا يتردد في نسبتهم إلى الطروادیين الذين طردوا من طروادة، بعد أن حطمها التحالف الإغريقي ما بين القرنين 11و12 قبل الميلاد. وترد رواية أخرى عن الإغريق تنسب البربر إلى مدينة ميسينا.

ويذهب سالوست (Saluste) إلى أن سكان شمال أفريقيا الأوائل هم الجيتوليون والليبيون، وبعد ذلك، قاد هرقل إلى المنطقة عناصر ميدية وأرمينية وفارسية انطلاقا من إسبانيا، فاختلط الميديون والأرمن مع الليبيين، بينما اندمج الفرس مع الجيتوليين... وورد عن سترابون أنهم هنود، وقادهم إلى المنطقة هيرقليس".[2]

وتعد الدراسات الاستعمارية أو الكولونيالية السباقة إلى القول بأوروبية الإنسان البربري، كما نجد ذلك بينا عند لويس رين(Louis Rinn)، وكامبس (Camps)، وبريموند (Bremond)، وغيرهم[3]... فقد أثبتوا بأن هجرة البربر الأوروبيين إلى شمال أفريقيا كانت عن طريق صقلية وجبل طارق. وقد نفى بالو "أن تكون هناك صلة بين القارتين الأفريقية والأوروبية قبل العصر الحجري الحديث".[4]

وهكذا، يتبين لنا، من خلال هذه الفقرة، بأن أصول البربر هندوأوروبية، جاؤوا من الهند، واستقروا بأوروبا، ثم انتقلوا إلى شمال أفريقيا.

---

[1] جميل حمداوي، مرجع سابق.

[2] المرجع نفسه.

[3] جميل حمداوي نقلا عن: Louis Rinn: Les origines berbères, études linguistiques et ethnoloqiques,Alger,1889.
G.Camps: Aux origines de la berbèrie, rites et monuments funeraires, Paris, 1961: p: 29.
Gl.E.Bremond: Berbèrie et arabes, Payot, Paris, 1938.

[4] محمد المختار العرباوي، مرجع سابق، ص 42.